

﴿سلسلة خطب الجمعة﴾

لفضيلة الشيخ

مصطفى العدوي

- حفظه الله -

الخطبة بعنوان

(وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ إِبْرَاهِيمَ)

بتاريخ [١٢-١-٢٠١٨]



الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين
سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين

الخطبة بعنوان: (وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ إِبْرَاهِيمَ)

الخطبة الأولى:

﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَلَهُ الْحَمْدُ فِي الْآخِرَةِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ (١) يَعْلَمُ مَا يَلْجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ الرَّحِيمُ الْعَفُورُ (٢)﴾ [سبأ: ١-٢]. وأشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، ﴿لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ﴾ [التغابن: ١]. ﴿يُحْيِي وَيُمِيتُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (٢)﴾ [الحديد: ٢]. لا قابض لما بسط، ولا باسط لما قبض، ولا معز لمن أذل، ولا مذل لمن أعز، وما من مكرم لمن يهينه الله ﴿وَمَنْ يُهِنِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُكْرِمٍ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ (١٨)﴾ [الحج: ١٨]. وأشهد أن محمداً عبد الله ورسوله -صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ-، أرسله الله بين يدي الساعة بالحق بشيراً ونذيراً، فأدى الأمانة حق الأداء، وبلغ الرسالة حق البلاغ، فجزاه الله عنا خير ما جازى نبياً عن أمته ورسولاً عن دعوته ورسالته.

وبعد...

أيها الإخوة الكرام، فدائماً وأبداً في قصص الأنبياء وسيرهم عبرة، كما قال الله تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ﴾ [يوسف: ١١١]. وكما قال تعالى: ﴿وَكَلَّا نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ﴾ [هود: ١٢٠]. فبقصص الأنبياء يُثَبِّتُ الْفُؤَادَ -بِإِذْنِ اللَّهِ-، وَتُسْتَنْبَطُ الْعِبْرَةُ، وَتُسْتَلُ الْفَوَائِدُ، وَتُصَحَّحُ الْمَعْتَقَدَاتُ، وَتُقَوِّمُ الْأَخْلَاقَ، فَكَلَامُ الْأَنْبِيَاءِ -عَلَيْهِمُ السَّلَامُ- وَحْيٌ مِنَ اللَّهِ -سُبْحَانَهُ-، وَلِكَلَامِهِمْ سَمْتٌ مَعْلُومٌ كَمَا قِيلَ لِعَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ الْمُلقَّبِ بِزَيْنِ الْعَابِدِينَ: «أَرَأَيْتَ الْحَسَنَ الْبَصْرِيَّ؟ قَالَ: ذَاكَ الَّذِي يَشْبَهُ كَلَامَهُ كَلَامَ الْأَنْبِيَاءِ». فالأنبياء لكلامهم سمت معين مخصوص، ليس فيه لغو، وليس فيه لعب أبداً، بل كلام الأنبياء وحْيٌ مِنَ الرَّحْمَنِ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى-، بِأَقْوَالِهِمْ نَسْتُضِيءُ وَنَسْتُرْشَدُ، وَمِنْ أَخْلَاقِهِمْ نَتَأَدَّبُ، وَمِنْ مَعْتَقَدَاتِهِمْ نَصَحَّحُ الْمَعْتَقَدَاتُ.

أذكر في هذا بشيء من أمر الخليل إبراهيم -عَلَيْهِ السَّلَامُ-، الذي أطلق عليه فريق من العلماء أبو الانبياء؛ لكون الأنبياء الذين أتوا من بعده كلهم من ذريته، إذ الله قال: ﴿وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقْبِهِ﴾ [الزخرف: ٢٨]. ما الكلمة الباقية في نسله؟ ﴿فِي عَقْبِهِ﴾. قيل: إنها النبوات. وقيل: إنها كلمة لا إله إلا الله التي جاء بها الأنبياء -عَلَيْهِمُ السَّلَامُ-، إبراهيم -عَلَيْهِ السَّلَامُ- أمرنا الله بالافتداء به، إذ الله قال: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ﴾ [الممتحنة: ٤]. الآيات. إبراهيم -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- لم يكن ﴿يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا مُسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ (٦٧)﴾ [آل عمران: ٦٧].

إبراهيم -عَلَيْهِ السَّلَامُ- كان أمة كما قال تعالى: ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ (١٢٠) شَاكِرًا لِأَنْعُمِهِ﴾ [النحل: ١٢٠-١٢١]. أي: كان شاكرًا لنعم الله عليه ﴿شَاكِرًا لِأَنْعُمِهِ﴾. فكونوا كذلك من الشكورين ﴿شَاكِرًا لِأَنْعُمِهِ اجْتَبَاهُ وَهَدَاهُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾. إبراهيم -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- الإمام الذي وفي كما قال تعالى: ﴿وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّى (٣٧)﴾ [النجم: ٣٧]. وفي بماذا؟ وفي بكل ما كُلف به -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ-، ولقد قال تعالى: ﴿وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ﴾ [البقرة: ١٢٤]. أي: قام بهن خير قيام. فلما أتمهن قال الله له: ﴿إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي﴾. أي: اجعل من ذريتي يارب أئمة ﴿قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾. ليس لظالم عندي عهد أن يكون إمامًا.

الحديث عن الخليل إبراهيم -عَلَيْهِ السَّلَامُ- يطول، فقد أتبلي بعدة ابتلاءات وصبر فيها، وقام بما أمره الله خير قيام، أتبلي في بدنه، أمر بالختان وهو ابن ثمانين سنة فاختنن بالقدوم، وهي آلة النجار المعروفة، لم يكن ثم بنج، بل قطع الجلد من عضوه بالقدوم، بآلة النجار المعروفة، سامعًا مطيعًا لله، هُدد باللقاء في النار وثبت، وألقي في النار فكانت عليه بردًا وسلامًا، أتبلي أن أمر بذبح ولده فأقبل على ذبح ولده وقد رزق به في

الكبر، والرجل في الكبر يحب الولد أكثر من غيره، قد رُزق بإسماعيل وإسحاق على الكبر، إذ قال: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى الْكِبَرِ إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ الدُّعَاءِ (٣٩)﴾ [إبراهيم: ٣٩]. ومع ذلك وما أن اشتد الولد، وأصبح يسعى إذا به يؤمر بذبحه فيمثل خير امثال، ويقوم بما أمر، لكن الله فداه بذبح عظيم.

إبراهيم في كل صوب وحذب تجد له منقبة، ومأثرة، عند لقاء الجبابرة لم يبال بهم، بل قال: ﴿رَبِّي الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ﴾ [البقرة: ٢٥٨]. قال ذلك بحضرة ملك غشوم ظلوم يدعي الألوهية، ويقول: ﴿أَنَا أَحْيِي وَأُمِيتُ﴾. قال إبراهيم: ﴿رَبِّي الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ﴾. ثم قال إبراهيم محاججاً: ﴿فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ﴾. إن كنت تزعم أنك رباً وإلهاً ﴿فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾.

إبراهيم - عَلَيْهِ السَّلَامُ - ترك بلاده لوجه الله بعد أن كذبه قومه ﴿وَقَالَ إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّي إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (٢٦)﴾ [العنكبوت: ٢٦]. فحقاً لقد كان إماماً، ومن ثم فإننا نصلي عليه، ونُبرك عليه في كل صلاة نصليها "كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم، كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم" في كل صلاة نصليها، وفي أذكار صباحنا ومساءنا "أصبحنا على فطرة الإسلام، وكلمة الإخلاص، وعلى دين نبينا محمد - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -، وعلى ملة أبينا إبراهيم حنيفاً وما كان من المشركين".

إن قصص الأنبياء تُساق وتُذكر بها لا للدراسة والاستمتاع، بل للتأسي، والافتداء، والافتقار، والاتباع، وأذكر بشيء من أقواله لقومه وأقوال قومه له، قال تعالى أمراً: ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ إِبْرَاهِيمَ (٦٩)﴾ [الشعراء: ٦٩]. أمر الرسول أن يتلو على الخلق خبر إبراهيم - عَلَيْهِ السَّلَامُ -، ونحن مأمورون بذلك أيضاً، كما أن رسولنا أمر فنحن أيضاً مأمورون أن نذكر الناس بإبراهيم - عَلَيْهِ السَّلَامُ - ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ إِبْرَاهِيمَ (٦٩)﴾ إذ قال لأبيه ﴿

[الشعراء: ٦٩-٧٠]. بدأ بأبيه ﴿وَقَوْمِهِ مَا تَعْبُدُونَ﴾. هكذا بدأ بالأب، والأب له حق النصح ﴿إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا تَعْبُدُونَ (٧٠) قَالُوا نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَظَّلُ لَهَا عَاكِفِينَ (٧١)﴾ [الشعراء: ٧٠-٧١]. نطيل المكث عندها، فالعكوف هو طول الملازمة، ويُذكر ويُروى أن علياً -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- مرَّ بقومٍ يلعبون الشطرنج، وقد أطالوا المكثَ أمامَ الشطرنج، فقالَ لهم: «ما هذه التماثيل التي أنتم لها عاكفون؟». ونحو هذا ذلكم العبث الذي يحدث الآن أمام مباريات كرة القدم، ذلكم الأمر المفجع الذي انتشر، وضيع صلوات كثيرين من الناس، وذهب بأخلاق الكثيرين ودين الكثيرين، فأصبح الأكثرون أمام شاشات التلفزيون أمام مباريات كرة القدم أقل منهم من يشهد الجمعة والجماعات، وبعد ذلك يئنون من ضيق الحال، ويئنون من ارتفاع الأسعار، وهم أشبه بالصيغ أمام شاشات التلفزيون يضيعون الصلوات، ويصيحون كما تصيح النساء.

قال الخليل -عَلَيْهِ السَّلَامُ-: ما هذه التماثيل التي أنتم لها عاكفون؟ وقال إبراهيم أيضاً -عَلَيْهِ السَّلَامُ-: ﴿مَا تَعْبُدُونَ (٧٠) قَالُوا نَعْبُدُ أَصْنَامًا﴾. أحجاراً ﴿فَنَظَّلُ لَهَا عَاكِفِينَ﴾. فحاججهم محاجة طيبة ﴿قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ (٧٢)﴾ [الشعراء: ٧٢]. أنت إذا دعوت هل الصنم يسمعك؟ ﴿أَوْ يَنْفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ (٧٣)﴾ [الشعراء: ٧٣]. هذه أسئلة طرحها الخليل -عَلَيْهِ السَّلَامُ- هذا الصنم نفعك بشيء؟ ضرك بشيء؟ ﴿هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ (٧٢) أَوْ يَنْفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ (٧٣) قَالُوا بَلْ وَجَدْنَا آبَاءَنَا كَذَلِكَ يَفْعَلُونَ (٧٤)﴾ [الشعراء: ٧٢-٧٤]. ما كانت لهم حجة إلا التقليد الأعمى، إلا التقليد الباطل ﴿قَالُوا بَلْ وَجَدْنَا آبَاءَنَا كَذَلِكَ يَفْعَلُونَ (٧٤) قَالَ أَفَرَأَيْتُمْ مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ (٧٥) أَنْتُمْ وَأَبَاؤُكُمْ الْأَقْدَمُونَ (٧٦) فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِي إِلَّا رَبَّ الْعَالَمِينَ (٧٧)﴾ [الشعراء: ٧٤-٧٧].

قال فريقٌ من أهل العلم: القوم كانوا يعبدون الله ويعبدون معه الأصنام، وهذا الشرك أن تجعل لله شريكاً تعبده كما تعبد الله، فالقوم كانوا يعبدون الله ويعبدون معه آلهة

أخرى، فأشركوا إذًا بعبادتهم الأصنام مع عبادتهم لله، وهذا هو الشرك أن تعبد الله وتعبد معه آلهة أخرى، هذا هو الشرك، فالقوم لم يكونوا ملاحدة آنذاك، بل كانوا يعبدون الله ويعبدون معه آلهة أخرى أي أنهم أهل شرك، وكذا القوم الذين كانوا في زمن النبي -عليه الصلاة والسلام- كانوا يعبدون الله ويعبدون الأصنام فهذا الشرك، وقيل من كان ملحدًا في زمن الرسول -صلى الله عليه وسلم- من أهل مكة، بل كانوا على الشرك.

قال إبراهيم -عليه السلام-: ﴿أَفَرَأَيْتُمْ مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ (٧٥) أَنْتُمْ وَأَبَاؤُكُمْ الْأَقْدَمُونَ (٧٦) فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِي إِلَّا رَبَّ الْعَالَمِينَ (٧٧)﴾. يعني: كل الأصنام أعداء لي إلا رب العالمين، هو وليي أنا أتولاه، هو ناصري، هو سامعي، هو مجيبي، قال: ﴿فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِي إِلَّا رَبَّ الْعَالَمِينَ﴾. هكذا قال الخليل، أعلن عن عداوته للآلهة التي عُبدت من دون الله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- ﴿فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِي إِلَّا رَبَّ الْعَالَمِينَ﴾. أي: لكنني أعبد رب العالمين وأتولاه.

ثم بين الخليل إبراهيم -عليه السلام- شيئًا من أمر الله -سُبْحَانَهُ-، وشيئًا عن الله -سُبْحَانَهُ-، مَنْ الله؟ مَنْ الله؟ الخليل يبين للقوم مَنْ هو الله كما بين الأنبياء كلهم، فكل الأنبياء يعرفون الناس بالله، يعرفون الناس بأسمائه، بصفاته، بأفعاله، لما قال فرعون لموسى: ﴿وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ (٢٣) قَالَ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ (٢٤)﴾ [الشعراء: ٢٣-٢٤]. وبين موسى بيانًا طويلاً في قصة موسى مع فرعون ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْدًا وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْ نَبَاتٍ شَتَّى (٥٣)﴾ [طه: ٥٣]. الآيات.

فهنا الخليل يعرف القوم بالله، قال: ﴿فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِي إِلَّا رَبَّ الْعَالَمِينَ (٧٧) الَّذِي خَلَقَنِي﴾ [الشعراء: ٧٧-٧٨]. فالله هو الذي خلقني، لم تخلقني الأصنام، لم يخلقني عيسى حتى أتخذة إلهًا، لم يخلقني كذلك العزيز ﴿الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ﴾. ولذلك

نحن نقول للنصارى ولغيرهم: هل عيسى خلقكم؟ هل عيسى خلق السماوات والأرض وما بينهما؟ هل عيسى هو العزيز الغفار؟ هل عيسى الذي أنجى إبراهيم من النار؟ هل عيسى هو الذي فلق البحر لموسى؟ هل عيسى هو الذي خلق آدم -عَلَيْهِ السَّلَامُ-؟ كلا، بل ﴿اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ (٦٢) [الزمر: ٦٢].

قال الخليل: ﴿الَّذِي خَلَقَنِي﴾. ولم يكن القوم آنذاك يكذبون بأن خالقهم هو الله، وما زال أهل الشرك إن سألتهم: مَنْ خلقهم؟ يقولون: الله، ولذلك فإن الله ذكر بصفة الخلق في كثير من الآيات ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ﴾ [النساء: ١]. لماذا لم يقول الذي رزقكم أولاً؟ ﴿الَّذِي خَلَقَكُمْ﴾. لأن أهل الشرك لم يكونوا ينازعون في صفة الخلق، بل يقرون الله بأنه خلاق، وأنه خلق السماوات والأرض، وأنه خلقهم، قال الخليل: ﴿الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ﴾. هو الذي يوفقني، هو الذي يرشدني، وهكذا كلنا نحتاج إلى هداية الله بنوعها؛ هداية الدلالة وهداية التوفيق، فنحن نسأل الله أن يهدينا في كل صلاة نصليها الهداية بقسميها هداية الإرشاد؛ يرشدنا إلى الطريق الصحيح، ويوفقنا لسلك هذا الطريق الصحيح، فالهداية هدايتان؛ هداية دلالٍ وهداية توفيقٍ، هداية دلالة تدل الشخص على الطريق الصحيح، لكن قد يسلكه، وقد لا يسلكه، تأتي هداية التوفيق توفق لسلك هذا الطريق الصحيح.

فقال الخليل -عَلَيْهِ السَّلَامُ-: ﴿الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ﴾. وفي الحديث القدسي: «كلُّكم ضالٌّ إلَّا من هديته، فاستهدوني أهدِكُمْ». يعني: اطلبوا مني أن أهديكم، وأنا أوفقكم وأرشدكم، «فاستهدوني أهدِكُمْ». فلذلك يلزمنا أن نسأل الله الهداية بقسميها؛ هداية الدلالة وهداية التوفيق ﴿الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ﴾ (٧٨) وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِي (٧٩) ﴿[الشعراء: ٧٨-٧٩]. إذا جعت ليس لي مُطْعِمٌ إِلَّا اللهُ، قال تعالى: ﴿وَهُوَ يُطْعِمُ وَلَا يُطْعَمُ﴾ [الأنعام: ١٤]. وفي الحديث القدسي: «كلُّكم جائعٌ إلَّا مَنْ أَطْعَمْتُهُ، فاستطعموني أَطْعَمَكُمُ». لا تنسوا أيُّها الإخوة قولكم: يا رب أطعمنا، يا رب اسقنا، يا رب

اهدنا، اسألوا الله أن يطعمكم، مع هذه الأزمات التي تمر بالناس يتغافل الناس عن سؤال الله الإطعام «استطعموني». اطلبوا مني الطعام «أطعمكم». اللهم أطعمنا، واسقنا، «فاستطعموني أطعمكم». «استسقوني». كذلك «أسقكم».

قال الخليل: ﴿وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ (٧٩) وَإِذَا مَرِضْتُ﴾ [الشعراء: ٧٩-٨٠]. ليس الأطباء الذين يشفونني، وليس أحد من الخلق يشفيني، إنما يشفيني الله، والأطباء ما هم إلا أسباب، قد يكونوا أسباب سعادة، وقد يكون أسباب شقاء، فكم من طبيب فشل في العلاج فأضر بالمريض ضرراً، أبلغ الضرر، بل تسبب في هلاكه، فالذي يشفي هو الله ﴿وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ﴾. وكان من دعاء نبينا محمد - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -: «اشفِ وَأَنْتَ الشَّافِي، لَا شِفَاءَ إِلَّا شِفَاؤُكَ، شِفَاءٌ لَا يُعَادِرُ سَقَمًا». فالخليل يعلمنا ذلك ﴿وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ﴾. قال بعض العلماء: يلزم الأدب في النقل عن الله - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى -، لا تنقل عن الله بأساليب لا تليق به، بل تنقل عن الله بألفاظ جميلة.

قال العلماء: لماذا عدل الخليل بعد أن قال: ﴿الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ (٧٨) وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ (٧٩)﴾. ولم يقل: هو الذي يمرضني ويشفيني. مع أن الأمراض لا تكون إلا بإذن الله، قال تعالى: ﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا﴾ [الحديد: ٢٢]. وقال: ﴿وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ﴾ [الشورى: ٣٠]. متسببون فيها، ولكن الله يعاقبكم بها، وقال تعالى في كتابه الكريم: ﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ اللَّهُ قَلْبَهُ﴾ [التغابن: ١١]. لماذا عدل الخليل ولم يقل: الذي هو يمرضني ويشفيني. مع أن المرض مُقَدَّر، قال العلماء: هذا من باب التأدب في اللفظ مع الله، كما قالت الجن: ﴿وَأَنَا لَا نَدْرِي أَشَرُّ أَرِيدَ بِمَنْ فِي الْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا (١٠)﴾ [الجن: ١٠]. لم يقولوا: وأنا لا ندري أشرُّ أراد بنا ربنا أم أراد بنا ربنا رشداً. إنما ذكروا ما لم يسم فاعله إن كان الذي يقدر كل شيء هو الله، لكن في التأدب في النقل قالت الجن: ﴿وَأَنَا لَا نَدْرِي أَشَرُّ أَرِيدَ بِمَنْ فِي

الأرضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا ﴿٧٩﴾. وقال الخضر لموسى: ﴿أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَاكِينَ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ فَأَرَدْتُ أَنْ أَعِيبَهَا﴾ [الكهف: ٧٩]. نسب العيب إلى نفسه، مع أنه ما فعل ذلك إلا بأمر الله، وأما في الباب الآخر ﴿وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنْزٌ لَهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنْزَهُمَا﴾ [الكهف: ٨٢]. فالتأدب في النقل عن الله مطلب، التأدب في النقل عن الله مطلب، لا تتكلم إلا بكلام يليق بالله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى-، مع أنه الذي قدر المقادير.

قال الخليل: ﴿وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ (٨٠) وَالَّذِي يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحْيِينِ (٨١)﴾ [الشعراء: ٨٠-٨١]. يذكر بالبعث الآخر، ثم قال: ﴿وَالَّذِي أَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ (٨٢)﴾ [الشعراء: ٨٢]. الخليل يقول -عَلَيْهِ السَّلَامُ-: ﴿وَالَّذِي أَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ﴾. كذا قال الخليل -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، الخليل يطمع أن يغفر الله خطيئته يوم الدين، ما تلك الخطيئة؟ قال النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «لَمْ يَكْذِبْ إِبْرَاهِيمُ إِلَّا ثَلَاثَ كَذَبَاتٍ، قَوْلُهُ عَن سَارَةَ لَمَّا أُدْخِلَتْ بِلَادَ الْجَبَابِرَةِ، وَأَرَادَ الْجَبَارُ أَنْ يَأْخُذَهَا، قَالَ: هَذِهِ أُخْتِي». حتى يكون ذلك سبباً في نجاتها منه، وقال: ﴿بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا فَاسْأَلُوهُمْ إِنْ كَانُوا يَنْطِقُونَ (٦٣)﴾ [الأنبياء: ٦٣]. وقال: ﴿إِنِّي سَقِيمٌ (٨٩)﴾ [الصافات: ٨٩]. لما دعوه لعبادة الأصنام، ويعتذر عن الشفاعة العظمى بسبب هذه الكذبات الثلاث، فحق ما قاله أنس: «إِنَّكُمْ لَتَعْمَلُونَ أَعْمَالًا، هِيَ أَدْقُ فِي أَعْيُنِكُمْ مِنَ الشَّعْرِ، كُنَّا لَنَعُدُّهَا عَلَى عَهْدِ النَّبِيِّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- مِنَ الْمُؤَبَقَاتِ». من المهلكات.

فالخليل يقول: ﴿وَالَّذِي أَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ﴾. كما أن رسولكم يقول: ﴿إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ (١٣)﴾ [الزمر: ١٣]. قال الخليل ﴿وَالَّذِي أَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ﴾. فهنا بين شيئاً عن ربه الذي خلق فهدي ﴿الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ (٧٨) وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ (٧٩) وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ (٨٠) وَالَّذِي يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحْيِينِ (٨١) وَالَّذِي أَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ

(٨٢) ﴿. وبعد هذا الشاء على الله وتمجيد الله -سُبْحَانَهُ- قال الخليل: ﴿رَبِّ هَبْ لِي حُكْمًا وَالْحَقْنِي بِالصَّالِحِينَ (٨٣)﴾ [الشعراء: ٨٣]. هكذا نسأل الله أن يؤتينا حكمًا وأن يلحقنا بالصالحين تأسياً بالخليل، مع أن هناك فارقٌ بين حكمٍ وحكمٍ ﴿رَبِّ هَبْ لِي حُكْمًا وَالْحَقْنِي بِالصَّالِحِينَ﴾. لا تلحقنا يا رب بأهل الإجمام، لا تلحقنا يا رب بالذين أتبعوا في هذه الدنيا لعنة وكانوا يوم القيامة من المقبوحين.

﴿رَبِّ هَبْ لِي حُكْمًا وَالْحَقْنِي بِالصَّالِحِينَ (٨٣)﴾ وَاجْعَلْ لِّي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ (٨٤) ﴿[الشعراء: ٨٣-٨٤]. إذ أنا مت يا رب اجعل الناس يقولون: اللهم ارحمه، كان رجلاً صالحاً، اللهم اغفر له، اللهم تجاوز عن سيئاته، كان صالحاً يا رب، اجعل الناس يشنون علي يا رب بعد وفاتي ﴿وَاجْعَلْ لِّي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ﴾. ثناءً حسناً بعد موتي وثناءً حسناً أيضاً في الملاء الأعلى، ويجوز لنا أن ندعو بمثل هذا الدعاء ﴿وَاجْعَلْ لِّي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ﴾. ﴿وَاعْفِرْ لِأَبِي﴾ [الشعراء: ٨٦]. كذا قال، نحن نقول: واغفر لأبائنا، لكن إذا كان الأب مشركاً لا نتأسى بإبراهيم في دعائه لأبيه المشرك، فإن الله قال: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَاءُ مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحَدَهُ إِلَّا قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ ﴿[المتحنة: ٤]. لا تتأس به فيها؛ لأن أباه كان مشركاً، فإذا كان أبو أحد منكم مشركاً فلا يتأسى بإبراهيم في الدعاء لأبيه المشرك، ولقد قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَنْ مَوْعِدَةٍ وَعَدَهَا إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ (١١٤)﴾ [التوبة: ١١٤].

قد قال الرسول الأمين -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ-: «اسْتَأذَنْتُ رَبِّي أَنْ أُرْوَرَ قَبْرَ أُمِّي فَأَذَنْ لِي، فَاسْتَأذَنْتُهُ أَنْ اسْتَغْفِرَ لَهَا فَلَمْ يَأْذَنْ لِي». فإذا كان الأب مشركاً لا يُستغفر له إذا مات على الشرك -وَالْعِيَاذُ بِاللَّهِ-، قال: ﴿وَاعْفِرْ لِأَبِي﴾ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الصَّالِحِينَ (٨٦) وَلَا تُخْزِنِي يَوْمَ يُبْعَثُونَ (٨٧) ﴿[الشعراء: ٨٦-٨٧]. قال رسول الله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-:

«يلقى إبراهيمُ أباه آزرَ يومَ القيامةِ، وعلى وجهِ آزرَ قَتْرَةٌ». أي: غبار وتغير وسواد. «فيقولُ له: يا أباي، ألم أقل لك لا تعصني؟ قال: أما اليومَ يا إبراهيمَ لا أعصيك أبداً، أبداً لن أعصيك. فيقولُ الخليل: يا رب! ألم تعدني ألا تُخزيني يومَ يُبعثون، وأيُّ خزيٍ أخزي من أبي الأبعد؟». يعني: أي خزي أشد من أبي الذي سيدخل النار، ومن ثم سيعرفه أهل النار، ويقولون: هذا والد إبراهيم معنا. «إبراهيم يقول: وأيُّ خزيٍ أخزي من أبي الأبعد؟». الشراح يقولون: أي خزي أشد من دخول أبي في النار، وأهل النار يقفون ويقولون: هذا والد إبراهيم الذي كان يدعونا. «فيقال له: يا إبراهيم انظرُ بين رجلَيْك. فينظرُ بين رجلَيْه فإذا بأبيه يتحولُ إلى زيخٍ ملوثٍ بعدرته». أي: إلى ضبع ذكر ملوث بغائطه، تتحول صورة والده إلى ضبع ذكر ملوث بغائطه «فيؤخذُ بقوائمه فيُلقي في النارِ». قال العلماء: حتى لا يعرف أهل النار أن هذا والد إبراهيم -عَلَيْهِ السَّلَامُ-، -وَاللَّهُ أَعْلَمُ-.

﴿وَلَا تُخْزِنِي يَوْمَ يُبْعَثُونَ (٨٧) يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ (٨٨) إِلَّا مَنْ آتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ (٨٩)﴾ [الشعراء: ٨٧-٨٩]. فاحرصوا على سلامة قلوبكم؛ فإن سلامة القلب تنفع صاحبها يوم القيامة، ولا ينتفع صاحب قلب خبيث بقلبه الخبيث، احرصوا على سلامة قلوبكم، إن نبيكم قال: «أَلَا إِنَّ فِي الْجَسَدِ مُضْغَةً إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، أَلَا وَهِيَ الْقَلْبُ». وقال -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ-: «إِنَّ اللَّهَ لَا يَنْظُرُ إِلَى صُورِكُمْ وَلَا إِلَى أَمْوَالِكُمْ، وَلَكِنْ يَنْظُرُ إِلَى قُلُوبِكُمْ وَأَعْمَالِكُمُ التَّقْوَى هَاهُنَا. وَأَشَارَ إِلَى صَدْرِهِ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ». «التَّقْوَى هَاهُنَا». فاستعينوا بالله واسألوه أن يصلح لكم قلوبكم.

قد كان من السلف من يطوف بالبيت ويلزم دعوة "اللهم أصلح لي قلبي، اللهم أصلح لي قلبي، اللهم أصلح لي قلبي" إن أهل الإيمان يقولون: ﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ (١٠)﴾ [الحشر: ١٠].

ألا ﴿اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا (١٠)﴾ [نوح: ١٠].

الخطبة الثانية:

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله.

وبعد...

وقد سمعتم قول الخليل -عَلَيْهِ السَّلَامُ-: ﴿يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ (٨٨) إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ (٨٩)﴾. فاحرصوا على سلامة قلوبكم، واسألوا الله أن يصلحها لكم، وقد كان من دعاء رسولكم محمد -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «اللهم نقي قلبي من الذُّنُوبِ وَالْخَطَايَا بِالمَاءِ وَالثَّلْجِ وَالبَرْدِ كما يُنَقَّى الثَّوْبُ الأَبْيَضُ مِنَ الدَّنَسِ». كان من دعاء نبيكم «يا مقلبَ القلوبِ ثبَّتْ قلبي على دينك». من أسباب سلامة القلوب كثرة الاستغفار وكثرة ذكر الله، قال الأمين -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ- قال -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ- في حديثه الثابت الصحيح عنه: «إذا أذنبَ العبدُ ذنبًا نكحت على قلبه نُكْتَةٌ سوداءُ، فإن تابَ وأقبحَ مُحيت تلك النُكْتَةُ، وإن عادَ وأصرَ نكحت نُكْتَةٌ أخرى سوداء حتى يُغطى القلبُ كُلُّه». ثم تلا رسول الله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قوله تعالى: ﴿كَأَلَّا بِلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ (١٤)﴾ [المطففين: ١٤]. «وقال: هذا الران الذي ذكر الله في كتابه». فلاستغفار سبب لسلامة القلب، الدعاء كما سلف في الاستدلالات سبب لسلامة القلب، أداء الأمانات إلى أهلها وعدم الغدر والخيانة سبب من أسباب سلامة القلب؛ إذ الله قال عن أقوام: ﴿فَبِمَا نَقُضِهِمْ مِيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً﴾ [المائدة: ١٣].

كذلك الإيمان بالقدر من أعظم أسباب طمأنينة القلب، وسلامته، وعدم اعتراضه على قدر الله الذي قدر، قال تعالى: ﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ﴾. أي: مَنْ يُوْمِنُ أَنَّ الأُمُورَ قَدَرُهَا اللهُ يَهْدِي رَبُّنَا قَلْبَهُ، وَمِنْ دَوَاعِي ذَلِكَ أَنْ تَعْلَمَ أَنَّ اللهُ يَعْلَمُ وَأَنْتَ لَا تَعْلَمُ، فَإِنَّ هَذَا إِذَا ثَبَتَ عِنْدَكَ آمَنَتَ بِالقَدْرِ وَاطْمَئَنَّ قَلْبُكَ، اعْلَمْ يَقِينًا أَنَّ اللهُ

يعلم ونحن لا نعلم، علمنا قاصر لكن ﴿اللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ (٧٤) [النحل: ٧٤].
دلت على ذلك أدلة متعددة من الكتاب العزيز والسنة المباركة، دلت على أن الأمر قد
يكون في ظاهره الشر والألم، ولكنه يحمل لنا كل خير، وعلى أن الأمر قد يكون ظاهره
السرور والسعادة وهو استدراج - وَالْعِيَاذُ بِاللَّهِ -، والعياذ بالله من الاستدراج.

لقد قال تعالى في كتابه وأذكر ببعض الأدلة في هذه الجزئية ذات الأهمية؛ ألا وهي
أن الله يعلم ونحن لا نعلم، وكما قال الخضر لموسى -عَلَيْهِمَا السَّلَامُ-: «مَا نَقَصَ عِلْمِي
وَعِلْمُكَ مِنْ عِلْمِ اللَّهِ إِلَّا كَمَا أَنْقَصَ هَذَا الْعُصْفُورُ بِمَنْقَارِهِ مِنَ الْبَحْرِ». إن الله قال: في شأن
القتال: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهُ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى
أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ (١٦٢) [البقرة: ٢١٦]. إن الله
قال في شأن النساء: ﴿فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا
(١٩)﴾ [النساء: ١٩].

إن النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أبتلي بحادثة الإفك المؤلمة هو وأصحابه
وأمهات المؤمنين، وأنزل الله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِنْكُمْ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَكُمْ
بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ﴾ [النور: ١١]. «إن النبي ذكر لنا امرأة كانت ترضع طفلاً لها». وهذا في
الصحيح، «فمر عليها فارس ذو شارة حسنة، رجل ركب فرساً وهيئته حسنة، فنظرت
المرأة إليه معجبة به، وقالت: اللهم اجعل ابني مثل هذا. فترك الطفل الرضيع ثدي أمه،
وقال: اللهم لا تجعلني مثله». فتعجبت المرأة من أمرين: أمر أول: وهو كلام الطفل في
المهد، والثاني: كيف أنه يسأل الله ألا يجعله مثل هذا الفارس، «سكتت وتعجبت ثم مرت
بجارية يضربونها ويسبونها، ويقولون لها: يا زانية، يا فاجرة، يا سارقة. قالت: اللهم لا
تجعل ابني مثل هذه. فترك الطفل ثدي أمه وقال: اللهم اجعلني مثلها. فهناك تراجع
الحديث، لما علمت أن الابن ممكن يحاور بدأت تكلمه، قالت: ما رأيت عجباً مثل اليوم
يمر بي فارس ذو شارة حسنة، أقول: اللهم اجعل ابني مثله. تترك الثدي وتقول اللهم لا

تجعلني مثله! والجارية تُضرب، ويقولون لها: يا زانية. أقول: يا رب، لا تجعل ابني مثلها. وأنت تقول: اللهم اجعلني مثلها! قال: يا أمه، هذا الرجل الفارس جبار من الجبابرة، يعني أنه إلى الكفر والإجرام أقرب أو هو كافر مجرم جبار، فسألت الله ألا يجعلني مثله، وهذه جارية مؤمنة يفعلون بها ما يفعلون، وهي تقول: حسبي الله ونعم الوكيل. فسألت الله أن يجعلني مثلها». يعني: مثلها في الإيمان وليس مثل الأول في الكفر، عيادًا بالله من الكفر، فحَقًّا قد تكون الأمور ظاهرها الشر وهي تحمل لنا -بِإِذْنِ اللَّهِ- كل خير، وقد تكون الأمور في ظاهرها الخير وهي -عِيَادًا بِاللَّهِ- تحمل لأقوام شرورًا.

قال قتادة -رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى- وهو إمام من أئمة التابعين الأخيار في شأن الغلام الذي قتله الخضر، غلام يلعب مع الصبيان كما في بعض الروايات ما حاصله؟ وما معنى أنه خفيف الدم يجري مع الأولاد، إذا بالخضر يستدعيه ويقتله، يقول قتادة -رَحِمَهُ اللَّهُ-: «يا فرحة أم الطفل ويا فرحة أبيه لما وُلِدَ الطفل الوسيم الوضيء، ويا حزنهما لما أتاهما الخبر ابنكما قُتِلَ ولا يُدرى من قتله، ذهب وانصرف القاتل، فيا حسرتهما عند قتله! ويا فرحتهما عند وفاته! ولكن خفي عليهما أنه لو عاش لأرهقهما طغيانًا وكفرًا، فإذا كانا يعلمان حقيقة الأمر ما فرح به لما وُلِدَ ولا حزن عند فراقه». فهكذا الله يعلم ونحن لا نعلم.

لقد جمع فرعون الجموع لموسى -عَلَيْهِ السَّلَامُ-، وبدأ في مطاردة مثيرة مع موسى -عَلَيْهِ السَّلَامُ- فإذا به وكاد أن يدرك موسى -عَلَيْهِ السَّلَامُ- ويقتل موسى، ويقتل بني إسرائيل، ويشردهم حتى ﴿قَالَ أَصْحَابُ مُوسَى إِنَّا لَمُدْرِكُونَ (٦١)﴾ [الشعراء: ٦١]. الأمر ظاهره الشر كل الشر سيقتلون، ولكن الله يدبر لأمر، ويرتب له، فما إلا لحظات أو ساعات حتى تبدلت الأمور، وأهلك الله فرعون ومن معه، قال -سُبْحَانَهُ-: ﴿فَانفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ (٦٣) وَأَزْلَفْنَا ثَمَّ الْآخِرِينَ (٦٤) وَأَنْجَيْنَا مُوسَى وَمَنْ مَعَهُ أَجْمَعِينَ (٦٥) ثُمَّ أَغْرَقْنَا الْآخِرِينَ (٦٦)﴾ [الشعراء: ٦٣-٦٦]. تحولت الأمور، وبعد أن كان

موسى ومن معه مُطَارِدُونَ، الله يقول: ﴿وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضَعُونَ مَشَارِقَ الْأَرْضِ وَمَعَارِبَهَا الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ الْحُسْنَى عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ بِمَا صَبَرُوا﴾ [الأعراف: ١٣٧]. الآيات.

وكذلك اجتمعت جحافل الشر في زمن رسول الله -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ- حول مدينته، حتى وصل الأمر بالرسول أن قال للصحابة: «مَنْ يَأْتِينِي بِخَبْرِ الْقَوْمِ؟ كُلُّهُمْ سَكَتُوا، وَلَمْ يَرْفَعْ أَحَدُهُمْ يَدَهُ يَقُولُ: أَنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ». في خلاف قصة الزبير «قال الرسول: مَنْ يَأْتِينِي بِخَبْرِ الْقَوْمِ؟ فِي لَيْلَةٍ بَارِدَةٍ شَدِيدَةِ الْبَرْدِ وَالرِّيحِ، وَالْخَوْفِ شَدِيدٍ، وَيُتَوَقَّعُ أَنْ يَهْجَمَ أَهْلُ الشَّرِكِ عَلَى الْمَدِينَةِ يَحْتَلُونَهَا، وَيَقْتُلُونَ أَهْلَهَا. مَنْ يَأْتِينِي بِخَبْرِ الْقَوْمِ؟ الْقَوْمُ كُلُّهُمْ سَكَتُوا، مَنْ يَأْتِينِي بِخَبْرِ الْقَوْمِ؟ فَسَكَتُوا جَمِيعًا، إِلَى أَنْ قَالَ الرَّسُولُ: قُمْ يَا حُذَيْفَةُ بْنُ الْيَمَانِ. فَقَامَ عَنِ خَوْفٍ، وَلَكِنْ مَا وَجَدَ بُدًّا مِنْ مَتَابَعَةِ رَسُولِ اللَّهِ، ثُمَّ وَمَا هِيَ إِلَّا سَاعَاتٌ وَتَأْتِي رِيحٌ تَدْمُرُ أَهْلَ الشَّرِكِ، وَأَصْبَحَ الرَّسُولُ فِي الْيَوْمِ التَّالِيِ مُتَجَهًّا إِلَى بَنِي قُرَيْظَةَ يَقْسِمُ غَنَائِمَهَا بَعْدَ أَنْ هَزَمَ اللَّهُ عَلَى الشَّرِكِ، وَوَلُوا مَدْبِرِينَ».

فالأمر قد تكون في ظواهرها الخطورة والشر وهي تحمل لنا كل الخير، قد تمرض يوماً فتحزن لمرضك، ولكن ربي سلمك من شر عظيم كان سيحل بك، قد تُمنع عن شيء، وتحزن لمنعك من الشيء، ولكن ربي صرف عنك شرًا عظيمًا كان سيأتيك، فأيقنوا بالله، وأحسنوا الظن بالله -سُبْحَانَهُ-، أحسنوا الظن بالله أنه يتولى الصالحين، احرصوا على أن تكونوا من أهل الصلاح، وبعد ذلك لا تبالوا بما يحدث لكم إلا أنكم مع الأحداث تزدادون قربًا من الله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى-، فإذا ألمت بك حادثة وجعلتك تقرب من الله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- أت الحادثة بأكلها والحمد لله، ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَبِيٍّ إِلَّا أَخَذْنَا أَهْلَهَا بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ لَعَلَّهُمْ يَضَّرَّعُونَ (٩٤)﴾ [الأعراف: ٩٤]. وفي الآية الأخرى: ﴿فَلَوْلَا إِذْ جَاءَهُمْ بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا وَلَكِنْ قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (٤٣)﴾ [الأنعام: ٤٣].

فإذا أتت الحادثة بفائدة وهي تقربك إلى الله، فهذا شيء حسن، والله يقول: ﴿مَا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِنْ شَكَرْتُمْ وَآمَنْتُمْ﴾ [النساء: ١٤٧]. والرسول يقول: «عَجَبًا لِأَمْرِ الْمُؤْمِنِ، إِنَّ أَمْرَهُ كُلَّهُ خَيْرٌ، إِنْ أَصَابَتْهُ سَرَاءٌ شَكَرَ، فَكَانَ خَيْرًا لَهُ، وَإِنْ أَصَابَتْهُ ضَرَاءٌ، صَبَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ، وَلَيْسَ ذَلِكَ إِلَّا لِلْمُؤْمِنِ». أحسنوا الظن بالله أيها الإخوة، اقتربوا من الله نعم المولى، ونعم النصير، هو خير الرازقين، هو خير الغافرين، هو -سُبْحَانَهُ- بيده خزائن كل شيء، هو الذي يأمر وينهى، هو الذي يشفي، لا شفاء إلا شفاؤه، ﴿وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ (٩٢) ﴿[يوسف: ٩٢]. هو ﴿خَيْرٌ حَافِظًا وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ (٦٤) ﴿[يوسف: ٦٤]. هو أحكم الحاكمين، فأعلنوا عن رضاكم بالله ربًا، وبدينه الإسلام دينًا أو رسالة النبي محمد أنه رسول من عند الله، ألهجوا بها رضينا بالله ربًا، وبالإسلام دينًا، وبمحمد رسولًا، دينكم خير دين، وربنا هو الأعلى الذي استوى على العرش، الخلق خلقه، والملك ملكه، هو يفعل ما يريد، ويقول: ﴿ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ [غافر: ٦٠]. ﴿هُوَ الْحَيُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (٦٥) ﴿[غافر: ٦٥]. ﴿فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ [البقرة: ١٨٦]. فأيقنوا بالله، وأحسنوا الظن بالله، واسألوه، فالقول قوله، والأمر أمره، وخزائن كل شيء بيديه، ومنتهى الأمور كلها إليه، وهو ﴿فَعَالٌ لِّمَا يُرِيدُ﴾ (١٦) ﴿[البروج: ١٦]. فلا إله إلا الله.

اللهم ارحمنا يا ربنا يا أرحم الراحمين، اللهم احفظنا بحفظك، واكلاًنا برحمتك، اللهم يا ربنا يا ولي الإسلام وأهله، احم حوزة الدين، واحفظ الإسلام والمسلمين، اللهم أسكننا الفردوس، اللهم ألحقنا بمن أنعمت عليهم من النبيين، والصديقين، والشهداء، والصالحين، وحسن أولئك رفيقًا، اللهم ارزقنا لذة النظر إلى وجهك والشوق إلى لقاءك في غير ضراء مضرة ولا فتنة مضلة، اللهم إنا نسألك إيمانًا لا يرتد، ونعيمًا لا ينفد، ومرافقة نبيك محمد -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- في أعلى جنة الخلد، اللهم ارحم أمواتنا وأموات المسلمين، وفك أسرانا وأسرى المسلمين، واشف مرضانا ومرضى المسلمين، واقض

الدين عنا وعن المدنيين، ومسكنا بالعروة الوثقى حتى نلقاك يا رب العالمين، اللهم أنقذ المسجد الأقصى من أيدي اليهود العابثين الظلمة الآثمين، اللهم شتتهم ومزقهم كل ممزق ومن عاونهم، ومن سار على دربهم، واقتفى أثرهم يا رب العالمين، زينا بزينة الإيمان، واجعلنا هداة مهتدين، وألبسنا لباس التقوى، وزودنا بزادها يا رب العالمين، ألا وصلوا وسلموا على البشير النذير؛ فإن صلاتكم تصل إليه فيرد عليكم مصلياً مسلماً.

وأقم الصلاة.

❑ يمكنكم متابعة خطب ودروس الشيخ على الرابط التالي:

<https://www.youtube.com/channel-UckL۲vNPCvXU۱niLe۷KhKFXg>

❑ رابط الخطبة:

<https://www.youtube.com/watch?v=wHe۹uVeabAQ&list=PL۹۲HwYx۳aJlvJO۳ewL۳GHuCxcMuOShRNy&index=۱۶۳>

❑ رابط صفحة الشيخ مصطفى العدوي الرسمية على الفيس بوك:

<https://www.facebook.com/groups-۱۲۵۸۰۲۰۱۱۱۰۱۹۰۶۷-?ref=share>